

الإسلام بين خطابي الامنة و الاخطرة لدى العرب

Islam is between the speech of Securitization and Riskization among Arabs.

د.عبد الرقيق كشوط جامعة الجزائر2

ملخص :

احتل مفهوم أمن، الإسلام في الآونة الأخيرة حيزا واسعا و أهمية متزايدة في النقاشات السياسية و العلمية ، غير ان هذه الأهمية قد جلبت معها اثارا غير محسوبة انعكست سلبا على تواجد الإسلام و المسلمين في الدول الغربية ، خاصة مع اتساع حدة الترويج لكون الإسلام عدوا جديدا حل محل الأعداء التقليديين للغرب من قبل النخب و صناع القرار في هذا الأخير ، وعلى هذا الأساس تهدف هذه الورقة البحثية الى سد الفجوة المتعلقة بهذا النهج بالجديد الذي اعتمد من طرف الساسة او الأكاديميين مدرسة كوبنهاجن و مسألة الامنة -في تصوير قضية ما على انها مسألة ومشكلة أمنية وكيف تم تصوير الإسلام موضوع الدراسة على انه مشكلة أمنية ، كما تسعى هذه الورقة الى اختبار الافتراضات القائمة على أمن الإسلام هل هي مجرد فعل كلامي ام انها ابعد من ذلك وتصل حد الممارسة العملية .

الكلمات المفتاحية: الامنة ، الاخطرة ، الإسلام ، الغرب .

مقدمة

تحاول هذه الورقة بحث وتقصي الآثار المترتبة عن عملية أمننة الإسلام سواء على الإسلام والمسلمين أو حتى على معتمدي هذه السياسة، غير أن بحث كل هذا يفرض علينا تتبع منهج وخطة تتركز أساسا إلى الإشكالية التالية:

كيف تم الترويج للإسلام على أنه قضية أمنية، وعبر أي الوسائط والأدوات أصبح الإسلام خطرا وهاجسا أمنيا لدى الغرب؟

لبحث هذه الإشكالية كان من الضروري تقسيم الورقة إلى المحاور التالية:

- 1- أمننة الآخر وفلسفة تصور العدو عند الغرب.
- 2- أمننة الإسلام وعملية بناء العدو: الإسلام بين "الأمننة والأخطرة".
- 3- خلاصة واستنتاجات.

1- أمانة الآخر وفلسفة تصور العدو عند الغرب: في عصر يتميز بالتعددية الثقافية وتزايد معدلات الهجرة وتداخل الهويات بالتأكيد سيدفع هذا الأمر بالمجتمعات المضيفة إلى الشعور بالغزو الثقافي والهوياتي مما يفرض عليه اتخاذ تدابير استثنائية تحد من الشعور بالآخر كتهديد، من هذا المنطلق تهدف هذه الورقة من خلال هذه النقطة للبحث في حقيقة أمانة الآخر على اعتبار أن الأمانة العادية- مدرسة كوبهاجن - التي سيتم الحديث عنها لاحقاً أثناء الحديث عن أمانة الإسلام وعملية بناء العدو عند الغرب تختلف عن هذا الطرح الجديد لبناء العدو على الرغم من كونها امتداد لها، وعليه فإن تتبع هذا الطرح يجعلنا ننهج اتجاهين، الأول: مرتبط بكيفية بناء واعتبار الآخر تهديداً والثاني: هو تحصيل للأول ومرتبطة بالتدابير الاستعجالية والاستثنائية الواجب اتخاذها للتعامل مع الآخر التهديد.

وعليه فمسألة أمانة الآخر من المفترض لأن تكون ناجحة ومقنعة ينبغي أن تركز بالأساس على " ماذا " بدلا من التركيز على " من " وبمعنى آخر يجب التعامل مع " الآخر " من منطلق أنه تهديداً موضوعياً بدلا من التعامل معه على أنه تهديداً ذاتياً، وبصورة أوضح ركزت "أمانة الآخر" على المسلمين عبر الإرهاب كما ركزت على المكسيكيين عبر الهجرة غير الشرعية، وهنا يمكن أن نرى بوضوح كيفية انتقال التهديد من كونه تهديداً موضوعياً إلى كونه ذاتياً بيد أنه كان من المفروض التعامل مع الإرهاب مثلاً بصورة مستقلة عن المسلمين وعن الهجرة غير الشرعية بمعزل عن المكسيكيين، وهو ما يعني فشل فكرة أمانة الآخر في توصيف التهديد الحقيقي؛ فالمسلمين ليسوا هم الخطر بل الإرهاب والمكسيكيين ليسوا هم الخطر بل الهجرة غير الشرعية.¹

غير أنه من الضروري في البداية أن نتعرف عن مفهوم الأمانة قبل الحديث عن أمانة هذا الآخر، فالأمانة كما وضحتها العديد من دارسي الدراسات الأمنية - خاصة مدرسة كوبنهاجن لبحوث السلام والأمن التي كانت أول من تحدثت عن "الأمانة" كمفهوم ومصطلح جديد في الدراسات الأمنية مع كتابات الأستاذ "أول وايفر" "Ole Waever" حول الأمانة والأمانة *Securitization and desecuritization* التي حث فيها على توسيع مجال الدراسات الأمنية- هي تناول مفهوم الأمن بناء على المخاطر التي تتحول إلى مشكلات أمنية في أذهان صناع السياسات، وهي العملية التي أطلق عليها الأستاذ "وايفر" "الأمانة" "securitization" لتكون بذلك الأرضية المفاهيمية لدورة جديدة المنظور في الدراسات الأمنية تقوم على فهم دقيق لطبيعة التهديدات والوحدات المرجعية والأسباب الكامنة وراء عملية الأمانة وظروفها.²

إنّ مفهوم الأمانة كما أتى بها "وايفر" يكمن في "تحول قضية ما إلى مشكلة أمنية عندما تعلن النخب أن تكون كذلك" حيث تلقى هذه المشكلة قبولا واسعا من قبل الشعوب، وذلك عبر عملية خطابية بالأساس تكون الوحدة المرجعية فيها نابعة من "الذاتية" أو "المرجعية الذاتية" *self-seferential* التي تستند إلى المؤسسات العالمية في تحديد التهديدات والوحدات المرجعية.

1-تعريف "أمانة الآخر": في هذه النقطة من الورقة يمكننا أن نطرح تساؤل جوهري يؤسس لأن يكون القاعدة المفهومية لإعطاء تعريف واضحة لفعل الكلام "أمانة الآخر" وهو لماذا يتم الحديث عن أمانة الآخر في هذا التوقيت؟

إن الإجابة عن هذا التساؤل تقودنا إلى البحث في المكونات الدافعة لظهور هذا المفهوم وهو ما توفره السياقات الدولية المرتبطة بالتعددية الثقافية والهجرة الواسعة والتداخل الهوياتي الناجم عن تفرع الأقليات، كل هذا يجعل من النسيج الاجتماعي يهتز ويتصدع سواء كان ذلك داخليا أو خارجيا، وهو الأمر ذاته الذي تلقفته وروجت له النخب السياسية في الكثير من الدول الغربية على أنه تهديد للنسيج الاجتماعي والهوياتي للدولة الأمة الذي تلقفته أيضا المجتمعات المضيفة على أنه كذلك مما أدي في نهاية المطاف إلى اعتبار "الغريب" أو "الآخر" بأنه بالفعل تهديدا سواء كان ذلك بطريقة صامتة أو علنية.³

ما يمكن قوله في هذا الصدد أن أغلب الذين يمارسون فعل الكلام "أو أمانة الآخر" هم بالأساس الساسة وصناع القرار في الدولة؛ حيث يتبنون هذه العملية بهدف إما زيادة شعبيتهم لدى شعوبهم أو بهدف تعزيز الحاضنة القومية للهوية أو بهدف صرف الشعوب عن المشاكل الداخلية التي تعيشها الدولة (مثل ارتفاع معدلات التضخم أو ضعف الأداء الاقتصادي)، وبالتالي فـ "الآخر" هو المعادلة الرابحة التي لا يجب أن تغيب عن الخطاب السياسي والبناء السياسي لتصور العدو.⁴

وعلى الرغم من أن عملية الأمانة تبدو عامة إلا أن "أمانة الآخر" قد ركزت أكثر على أمانة "بين الآخر" ومن تم ربطه بالإرهاب، حتى وإن سلمنا بأن الإرهاب هو الخطر وفق سياق الأمانة إلا أن المنطق السليم يفترض أن يحدد بدقة الخطر والتهديد، هل هو الإرهاب في حد ذاته أم التكتيكات التي يلجأ إليها الإرهاب، ومن تم فالتعامل الناجع مع هذا التهديد لا يركز بمطلقية عن الإرهاب بقدر ما يجب أن يركز على الأساليب والتكتيكات المستعملة من قبل الإرهاب، وبالتالي فمن الناحية النظرية يتجلى الخطر والتهديد في الشخص الذي يلجأ إلى هذه التكتيكات وليس في الإرهاب ذاته على اعتبار أنه حدثت العديد من أعمال العنف ولم يكن متورط فيها الإرهاب بل أشخاص لم يكونوا محسوبين على الإرهاب.⁵

إذا فالقاعدة الأساسية المقومة لـ " أمنة الآخر " تكمن في ضرورة أن نعي "كيف نعرف " و "كيف نعرف من نعرف " وهو ما يتأتى من خلال البحث في العلاقة بين " ماذا " و " من " والبحث في السياقات التاريخية لهما، كما يتأتى من خلال تحديد وتقييم نطاق ومجال الأمنة وانعكاساتها الجانبية حول ما إذا كانت هذه العملية ستلحق أضرار بأقلية معينة أم لا.⁶

زيادة على ذلك تكمن فلسفة " أمنة الآخر " في ذلك التغير الذي لحق بالوحدة المرجعية محل التهديد، إذ أن الوحدة المرجعية سابقا كانت الدولة لا غير، بينما في هذا التوجه الجديد في " أمنة الآخر " تتمركز في الهوية التي تعتبر أهم عامل لبقاء الدولة الأمة واستمرارها، وبالتالي فـ " الآخر " هو التهديد الذي يهدد الهوية ومن ثم يهدد بقاء الدولة الأمة.⁷

بناء على هذه الأرضية المفاهيمية التي تؤسس لهذه النقطة من الورقة، فإن مسألة "أمنة الآخر " في الفكر الممارساتي أو النظري الغربي تتجلى في اعتبار أن كل من يختلف ويتعارض مع التوجهات الفكرية والممارساتية الغربية يعتبر تهديدا ويروج له على هذا الأساس، وأن مسألة العدو أمر مفروغ منه؛ فهو موجود إما موضوعيا أو ذاتيا، وإنما الذي يتغير هو فقط الشكل والنموذج، فالتهديد بالنسبة للغرب لم يتراجع ولم يتآكل غير أنه قد اتخذ أشكالا مختلفة تتغير من وقت إلى آخر ومن مكان لآخر.⁸

2- الأسس النظرية لعملية " أمنة الآخر ".

لنتمكن من فهم عملية "الأمنة للآخر" ثم فهم عملية أمنة الإسلام نجد من الضروري أن نذكر ولو اختصارا المسوغات النظرية التي تقوم عليها عملية الأمنة للآخر، ذلك أن فهمها يجعلنا نستخلص الاتجاه الذي سلكته الأمنة في اعتبار الإسلام قضية أمنية التي سيتم الحديث عنها وتفصيلها من خلال النقطة اللاحقة من الورقة.

إن الفعل الخطابي المرتبط بعملية الأمنة يتخذ عدة أشكال لاحقة لبعضها البعض وفي ذات الوقت مكملة لها، حيث يمكننا أن نذكر هنا مجموعة الأشكال والأنواع التالية:

- أ- أمنة غير مباشرة تتم من الأعلى نحو الأسفل.
- ب- أمنة غير مباشرة تتم من الأسفل نحو الأعلى.
- ت- أمنة مباشرة تتم من الأعلى نحو الأسفل.
- ث- أمنة مباشرة تتم من الأسفل نحو الأعلى.⁹

إن المتتبع للمسار الذي تسلكه الأمننة في اعتبار قضية ما أنها مشكلة أمنية يجد أن النوع المهيمن في الأمننة هو الأمننة المباشرة التي تتم من الأعلى نحو الأسفل الذي تتبناه النخب السياسية والجهات الفاعلة، إلا أن ما يتحكم فعليا في إنتاج أي نوع من الأنواع المشار لها هو وجود مجموعة شروط وظروف تؤثر بصورة مباشرة على إنتاج نوع محدد بذاته.

حيث يجد النوع المهيمن مبرراته في استمرار إنتاج الخطابات السياسية المروجة لانعدام الأمن الذي يعد جزءا لا يتجزأ من مهام الدولة التي أخذت على عاتقها مهمة تحقيق الأمن للأفراد ومن تم أحقيتها في اعتبار أي قضية مشكلة أمنية، غير أن الملاحظ هو أن الدولة بدلا من توفير الأمن نجدها قد فشلت فيه من خلال إنتاج التهديدات عبر الأمننة.

من ناحية أخرى أن الأمننة وفق الشكل من الأسفل نحو الأعلى تكون من خلال افتراض أن انعدام الأمن يقرره المجتمع وليس الدولة لأن الأمن الجديد يستند إلى الوحدة المرجعية المجتمعية وليس الدولانية وعلى هذا الأساس يكون من المفترض أن يكون المجتمع هو من يقرر بنفسه ما يمثل تهديدا محتملا لوجوده وليس الدولة، ذلك أن أجندات الأمن بالنسبة للمجتمع والدولة قد تذهب في اتجاهات مختلفة الأمر الذي يعرقل الوصول إلى اتفاق واضح في تحديد التهديدات المحتملة أو المتوقعة.

إن النموذج المشار له سابقا والذي يقوم على الأمننة غير المباشرة من الأعلى نحو الأسفل وعلى الرغم من اتساع نطاقه بين صناع السياسات ومؤسسات المجتمع المدني إلا أنه في ذات الوقت يحمل خطورة بالغة خاصة إذا كان يستهدف بشكل غير مباشر أقلية أو دين معينين وقد يتحول إلى عملية مباشرة مع مرور الوقت والذي يعد أكثر تطرفا ومصاحبة للعنف والاضطرابات.

3- أمننة الإسلام وعملية بناء العدو: الإسلام بين "الأمننة والأخطرة".

تمثل حقبة ما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001 منعطفا حاسما في نظرة الغرب بصفة عامة اتجاه الإسلام والمسلمين هذه النظرة امتزجت بالكراهية والخوف على حد سواء، وقد كرسّت أكثر هذه النظرة مجموعة أحداث تلت هذه الأحداث شهدتها بعض الدول الغربية مثل تفجيرات مدريد 2004 وتفجيرات المترو في بريطانيا عام 2005، هذه الأحداث وغيرها أعادت إلى الواجهة قضية المسلمين والإسلام في الدول الغربية وزادت في تعميق فجوة اندماج المسلمين في المجتمعات المضيفة خاصة في القضايا الاجتماعية والاقتصادية والقضايا المدنية والثقافية والقضايا الدينية، بل وما زاد الأمر تعقيدا تلك الحملة المناهضة لتواجد

الإسلام والمسلمين في النسيج المجتمعي للدول الغربية التي يقودها صناع السياسات وهيئات المجتمع المدني ووسائل الإعلام عبر خطاب الأمانة.

ولكن قبل الحديث عن موجة الأمانة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين في الدول الغربية والآليات المتبعة في اعتبار الإسلام خطرا وتهديدا أمنيا، نرى من الضروري أولا بحث إشكالية وقوع الإسلام بين عارضتي الأمانة والأخطرة¹⁰ (Riskization) والفصل في كنه كلمة الأخطرة بعدما فصلنا في كنه كلمة الأمانة.

أ- في معنى مفهوم الأخطرة - Riskization -: إذا كان فعل خطاب الأمانة يقوم على اعتبار قضية ما مشكلة أمنية وتوصيفها بالأساس أنها تهديدا أمنيا فإن فعل " الأخطرة " يختلف عنها تمام ذلك أن خطاب الأخطرة يقوم على تفعيل وتنشيط شكل محدد من السياسات الأمنية الموجهة لخطر ما أو ما يعرف بـ " سياسات الخطر الأمني " التي تقوم على توقع العواقب السياسية لوجود الخطر.¹⁰

وللتعرف أكثر على كنه "الأخطرة " أو خطاب "الأخطرة" ينبغي أن ندرك ما يلي:

1- أن خطاب "الأخطرة" يقوم على وجود خطر ما وجودا فعليا وليس توقعا، وأن الخطر في نظر خطاب "الأخطرة" لا يقبل التأويل ولا يحتاج إلى الترويج والدعاية على عكس خطاب الأمانة الذي يحتمل ومن ثم يروج لأن تكون قضية ما مشكلة أمنية عبر خطاب سياسي بالأساس.

2- في خطاب الأمانة يتم بناء " التهديد " عبر سيناريوهات يتم الترويج لها لتلقي قبولا من العامة، بينما في خطاب " الأخطرة " فالمخاطر موجودة ولا تحتاج للبناء وتحتاج فقط لتوسيع دائرة القبول على أن قضية ما هي خطر.

3- وإذا كان خطاب " الأمانة " يقوم على ابتكار إجراءات استثنائية غير اعتيادية وغير عادية للتعامل مع التهديد المحتمل أو الوشيك، فإن خطاب " الأخطرة " يعتمد على إجراءات اعتيادية وعادية في التعامل مع الخطر الموجود، بمعنى كل الإجراءات المعتمدة من قبله هي إجراءات طبيعية.¹¹

من هنا يمكننا تعريف " الأخطرة " على أنها حالة الخطاب الذي يوصف خطرا ما على أنه موجودا وجودا فعليا لا توقعا، وأنه الخطاب الذي يزيد من قدرات الدولة والمجتمع على التكيف مع الخطر وفق

معالجة اعتيادية تتسم بالمرونة والاحترافية وقائم على خطط مسبقة طويلة المدى تراعي فرص تحقيق السلامة والأمن للجميع.

ما يمكن استخلاصه مما سبق أن هناك خط رفيع جدا بين خطاب الأمانة وخطاب " الأخطرة " يتضح فقط من خلال التعرف على كنه الخطر وكنه التهديد اللذان تم توضيحهما سابقا.

ب- **الإسلام بين خطاب الأمانة وخطاب الأخطرة:** لقد شهدت العقود الثلاث الماضية زيادة غير مسبوقة في المنشورات العلمية والصحافية حول الإسلام والمسلمين وتواجههم في الدول الغربية، حيث كانت هذه الزيادة في الإسهامات بدافع التطورات الداخلية والدولية التي شهدتها العالم خاصة عقب أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001 وتزايد عدد المهاجرين واللاجئين المسلمين في الدول الغربية التي تختلف جذريا من حيث المكون الثقافي والحضاري عن الوافد الجديد.

كما تشير ذات المنشورات الصحافية والأكاديمية إلى أن العلاقات بين هؤلاء الوافدين والمجتمعات المضيفة هي علاقات جد متوترة نابعة من الأحكام المسبقة والصور النمطية التي طبعت في أذهان مجتمعات الدول المضيفة التي يمكن ملاحظتها في تقارير وسائل الإعلام التي عادة ما تصف المسلمين بالمتعصبين والهمجيين والبدائيين، وكل هذا في نظرة تعميمية تنم عن الجهل وقصور الخبرة في التعرف على الإسلام.

تقليديا كان تعريف الأمن مرتبط بالجوانب العسكرية والسياسية وحماية الدولة وحدودها وسلامتها من التهديدات ذات الطبيعة العسكرية، غير أن التعريف المعاصر يتجاوز هذا التعريف الضيق وأصبح يعبر أكثر عن المخاوف والتهديدات ذات الطبيعة الإيديولوجية الناتجة عن الهجرة والاختلاف الإثني والعنقي والديني والهوياتي، وقد صور الإسلام على أنه التهديد الذي يجمع كل الاختلافات الإيديولوجية عن الدول الغربية وأنه "الآخر" الذي لا يقل خطرا عن باقي التهديدات الأخرى التي يجب أن تتصدى لها الدولة القومية الغربية مثله مثل العنف والجريمة والاتجار بالبشر والمخدرات، التي لها قوانين يتم التعامل معها وفقا لها، وقد تعزز هذا من خلال استخدام مصطلحات تنم عن العنصرية والكراهية اتجاه الإسلام والمسلمين، حيث يمكننا أن نلمس هذه النغمة من خلال عبارات " تدفق " " الغزو " " الطوفان " " التسلل " التي أصبحت تستعمل بكثرة من طرف الساسة وصناع القرار ووسائل الإعلام في الدول الغربية، وهذا يدل على أن خطاب الأمانة قد تحول من حماية الدولة إلى حماية المجتمع من كل أنواع " الشرور

"التي يجلبها الإسلام في نظرهم، وهذا في الحقيقة اتجاه يدل على العمل الجاد في جعل الإسلام تهديدا وجوديا يلاقي مصداقية داخلية.¹²

ما يجب الإشارة إليه أن الصورة المغلوطة عن الإسلام والمسلمين لم تكن جديدة وإنما ترجع أصولها لثمانينات القرن الماضي مع اعتبار العديد من الساسة الأوروبيين ووسائل الإعلام أن الخطر والتهديد الحقيقي يكمن في الإسلام دون تقديم أي دليل ملموس على ذلك.¹³

زيادة على ذلك نجد أن سيرورة عملية أمنة وأخطرة الإسلام قد اتخذت عدة صور وأشكال منها المباشرة ومنها غير المباشرة، والتي يمكن الحديث عنها من خلال أولا الصور المباشرة التي تتجلى في التسليم بكون الإسلام تهديدا إرهابيا مما حتم على الدول الغربية عامة إعادة هيكلة أجهزتها الأمنية مع مثل هذا التهديد وتعزيز القوانين الأمنية المتعلقة بمكافحة الإرهاب ووضع مزيدا من القيود على المهاجرين من أصول إسلامية.¹⁴

كما وسعت الدول الغربية قوانينها للتعامل بأكثر قسوة مع التهديدات المحتملة المرتبطة بالمهاجرين واللاجئين المسلمين، على سبيل المثال القانون الفرنسي لسنة 2001 الذي يقضي ويخول لأجهزة الأمن الفرنسية بالتنصت على المكالمات ومراقبة البريد الإلكتروني للأشخاص ومداومة المنازل وأماكن العمل ورصد وتسجيل المعاملات الإلكترونية دون إشعار، وكل هذا كجزء من التدابير المتخذة لمكافحة الإرهاب.¹⁵

كما سمح قانون الهجرة الفرنسي لعام 2003 من ترحيل الآلاف من المهاجرين الذين اتهموا بأعمال جنائية على التراب الفرنسي أو أن سلوكهم قد يشكل تهديدا وخطرا على النظام العام، إضافة إلى تشديد القيود على الهجرة غير الشرعية خاصة تلك الآتية من دول جنوب المتوسط المسلمة، زيادة على ذلك عملت الدول الغربية عبر قوانينها على حظر الجمعيات ذات الطابع الديني وتشديد القيود على تلك الموجودة والتضييق على نشاطاتها الجمعوية، وهو ما فعلته إيطاليا في سياق أمنة الإسلام التي أصدرت هي الأخرى قانون الهجرة عام 2002 الذي شدد العقوبات على الهجرة غير الشرعية وإقامة محتشدات جديدة ومناطق الحجز على اعتبار أنها على تماس وتقارب كبير مع الدول العربية والإسلامية.¹⁶

هذا بالإضافة إلى العديد من القوانين المرتبطة بالتضييق على الإسلام والمسلمين، كمصادرة الأموال التي تورط أصحابها في أعمال توصف بكونها إرهابية، وقوانين الاعتقال التعسفية كما حدث في بريطانيا والحبس الاحتياطي والتشديد على المساجد إلى غيرها من القوانين التي لجأت لها

العديد من الدول الغربية خاصة منها الأوروبية كهولندا مثلا التي أقرت قانون الأجانب وقانون التعددية الثقافية والتأكيد على استيعاب فقط المهاجرين الذين يحملون القيم المشتركة مع المجتمع الهولندي.

إن المتتبع للأحداث يرى بصورة جلية أن أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر كانت الأكثر تأثير على واقع الإسلام والمسلمين في الدول الغربية، خاصة مع تزايد أصوات اليمين المتطرف في شتى الدول الغربية في وصم الإسلام والمسلمين بعبارات الكره والخوف التي تحمل الكثير من التحامل والتمييز بسبب المعتقد والدين وهو ما جسد أكثر في الشعارات والأصوات المنادية بكون الإسلام تهديدا وخطرا أمنيا ترجم إلى أفعال انتقامية جسدية ولفظية ضد المسلمين وهو ما كشفه تقرير " هلسنكي 2005 " الذي عدد مجموعة من الأطراف كان لها دورا في تأجيج تصور الإسلام تهديدا أمنيا، كما كشف هذا التقرير أن حوالي 80% من الألمان لا يفرقون بين " الإسلام " و " الإرهاب " .¹⁷

ما يكشف أيضا عملية أمننة الإسلام واعتباره تهديدا أمنيا تبني العديد من الساسة الغربيين لما سمي بصدام الحضارات الذي يتبنى خطابات عنصرية معادية للإسلام وكراهية " الآخر " استنادا لمعتقدده، وهنا يمكننا أن نعدد بعضا من أوجه أمننة الإسلام خاصة تلك التي أعتمدها اليمين المتطرف في الدول الغربية.

واحدا من بين أهم صور أمننة الإسلام هو اعتبار الإسلام أكبر خطر وتهديد لثقافات الشعوب الغربية نتيجة " غزو المسلمين " في إطار الهجرة و اللجوء لهذه الدول، وأنه الدين الذي يهدد المسيحية، ضف إلى ذلك القيام بالحملات المعادية للمسلمين كخطابات "جان ماري لوبان" الفرنسية Jean Marie Le-Pen "ويورغ Haider Jörg في النمسا "وبيم فروتين" Pim Fortuyn في هولندا الداعية لتفضيل المهاجرين المسيحيين على المسلمين واستبعادهم،¹⁸ كما استعمل " جورج بوش الابن " خطابات معادية للإسلام خاصة في خطابه حول " الحرب على الإرهاب "

وهو الأمر نفسه الذي فعله " غيرت ويلدرز " Geert Wilders " الهولندي الذي دعا بشدة لضرورة القتال ضد " أسلمة هولندا " وتأسيس التحالف الدولي للحرية من أجل تأمين الدول الأوروبية والغربية وحماية المصالح المشتركة ضد تهديد القيم والتعاليم الإسلامية، وفي ذات الوقت يستعمل خطاب يوصف الإسلام بعبارات متطرفة تجعل من الإسلام تهديدا في نظره على سبيل استخدامه " قوى الظلام، قوى الكراهية، آفة الجهل ... "

للدلالة على همجية الإسلام، وهو ما عبر عنه في خطاب له يوم 2010/11/09 في نيويورك الذي عارض فيه صراحة بناء المساجد متحججا بأن الدول الإسلامية لا تسمح ببناء الكنائس المسيحية والكنيس اليهودية، وأنه في مكة المكرمة لا يوجد دين آخر سوى الإسلام وهو ما يتعارض مع الحرية التي لا يجب أن يتمتع بها المسلمون في البلاد الغربية.¹⁹

وبناء عليه يشير " ويلدرز " أن الإسلام يعد تهديدا وجوديا للغرب وبالتالي يجب أمننته نظرا لتعارضه مع القيم الغربية مثل الحرية والديمقراطية والبقاء التي يحاربها المسجد، كما تشير تصريحاته المناهضة للإسلام عن مدى الحقد والكراهية للمسلمين فقط بسبب معتقداتهم ودينهم.²⁰

الصورة الأخرى لواقع أمانة الإسلام ما مثلته فكرة صدام الحضارات التي تحدث عنها " صاموئيل هنتغتون Huntington " وكرسها الساسة الصحافيين والخبراء الاستراتيجيين لشرح الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، وفكرة العدو البديل الذي لا غنى عنه لاستمرار الحضارة الغربية، حيث تتلخص فكرة صدام الحضارات كما أشار لها هنتغتون في تنافس وصراع الهويات الحضارية الموجودة أساسا بين الغرب والعالم الإسلامي وأنه سيكون مصدرا رئيسيا للصراع في النظام الدولي الجديد خاصة مع تحالف باقي الثقافات الأخرى لاعتبارات سياسية واقتصادية وعسكرية واجتماعية مع الغرب ضد الإسلام والمسلمين.²¹

أما وفقا لـ "باري بوزان" buzzn فإن حدة التهديد الإسلامي ضاعفها أكثر العداء التاريخي والجوار الجغرافي، والدور الذي يلعبه الإسلام في حياة معتقيه، وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي له هوية جماعية قادرة على التوسع والتأثير دون أن تتأثر خاصة مع تزايد أعداد المهاجرين واللاجئين نحو الغرب ما ينبئ بحرب اجتماعية باردة بين هؤلاء اللاجئين والمهاجرين المسلمين مع المجتمع المضيف،²² الذي يعتبر هؤلاء المهاجرين خطرا بيئيا يجب التعامل معه بحزم حفاظا على البيئة وهو ما كرسته القوانين البريطانية.²³

كما لم تقتصر تجليات أمانة الإسلام في تلك الصورة التي يروجها الساسة ووسائل الإعلام بل تعدت ذلك لتشمل المعتقدات المجتمعية التي أصبحت تربط مباشرة الإسلام بالإرهاب والأكثر من ذلك تحول هذه المعتقدات إلى قناعات راسخة يصعب دحضها مع تواصل الترويج والتهويل لاعتبار الإسلام تهديدا أمنيا؛ إذ يعكس هذا الأمر ما يروج له الحزب الوطني البريطاني أن العدو الجديد لبريطانيا هو المسلمون.²⁴

ما يمكن الإشارة إليه أيضا أن أمانة الإسلام قد تجلت في الصورة المباشرة التي تظهر من خلال الصلة بالوحدات المرجعية المتعارف عليها في تحديد المفهمة الأمنية التي عادة ما تقوم بها الحكومة بطريقة رسمية، كما تجلت في أمانة غير مباشرة تم الترويج لها عبر وسائل غير رسمية من خلال محاربة التطرف الذي دائما يلحق بالإسلام، على الرغم من أن التطرف لا يقتصر على الإسلام دون غيره، وسن القوانين التي يتم من خلالها الحفاظ على العلمانية وحرية التعبير في الدول الغربية وتقويتها ضد الوافد الجديد واعتبار المساس بتعاليم الدين الإسلامي ورموزه ومقوماته من قبيل حرية التعبير المكفولة قانونا، إضافة لذلك فإن الحملات الغربية ضد الدول العربية والإسلامية ما هي إلا لكسر شوكة الإسلام الذي إذا قوي في هذه الدول فإنه حتما سيتجه نحو الخارج وأن الدول المرشحة للغزو هي الدول الغربية، وبالتالي وجب العمل والحيلولة دون أن يتقوى داخلها حتى وصل الأمر إلى حد الترويج للإسلاموفوبيا داخل الدول الإسلامية نفسها وذلك لتخويف المسلمين من إسلامهم والترويج له على أنه دين التطرف.²⁵

ما يلاحظ عن عملية أمانة الإسلام أنها كانت أكثر حدة ومبالغ فيها ذلك أن التطرف "الإسلامي" الذي يوصف به من قبل الغرب لا يكاد يذكر إذا ما قورن بذلك الناجم عن تطرف اليمين أو اليسار الذي يعد مختلفا من حيث النوع والكم، غير أن الفرق يكمن في كون الإسلام يحمل اختلافا عقائديا وثقافيا يجعل منه أكثر تهديدا للدول الغربية في نظرهم.²⁶

أن الأمانة المنتهجة من قبل الساسة وصناع القرار في الدول الغربية قد كان لها تفاعلا واضحا مع مفردات العنصرية والكراهية و الخوف من الإسلام، وأن التفرقة والتحيز اتجاه الإسلام كانت مبنية على أساس الاختلاف العقائدي والثقافي ولم تكن لاعتبارات الخطر والتهديد الذي يتهم به الإسلام.

أن استمرار أمانة الإسلام والمسلمين سيؤدي بالتأكيد إلى نتائج وردات فعل عكسية والشك في حقيقة التهديد الفعلي للدول الغربية، ذلك أن المتلقي لفعل الأمانة يلاحظ ذلك التحويل لتهديد لا يعتبر كذلك ما لم موضوعيا ومبتعدا عن الذاتية.

ما يمكن استنتاجه أيضا من خلال ما سبق أن الدولة الحديثة عادة ما تلجأ إلى خطاب الأمانة كأسلوب في العملية السياسية من خلال جعل المجتمع يندمج فيما تريده الدولة عن طريق تصنع تهديدا وجوديا يتمتع بالمصداقية الداخلية وحتى الخارجية - الإرهاب الإسلامي في نظرهم - الذي تم الترويج

له على أنه عدو كباقي التهديدات الأخرى التي تتعامل معها أجهزة الأمن، وأنه لا يهدد الدولة لوحدها بل المجتمع أيضا وبأكثر حدة.

الملاحظ أيضا حول أمانة الإسلام أنها بدأت بالخوف مع كتابات هنتيغتون وتطورت للعداء والكرهية مع أحداث الحادي عشر من أيلول سبتمبر 2001، وما الأحداث التي حدثت في بعض الدول العربية والإسلامية - العراق، أفغانستان - خير دليل على وجه العداء ضد الإسلام، كما أن هذا العداء لم يتوقف عند الساسة ووسائل الإعلام بل تعداه إلى المجتمع الذي يمارس عداءه للمسلمين والإسلام بشكل يومي.

ما تجدر الإشارة إليه أن أمانة الإسلام قد ركزت فقط على وصم الدين الإسلامي بكونه تهديدا للهوية والثقافة الغربية دون أن تركز على ردود الأفعال المضادة من قبل العالم الإسلامي الذي يحتاج بدلا من ذلك للتعرف أكثر عليه وعلى دينه، وأن علاقة الغرب بصفة عامة مع الإسلام والمسلمين قد خضعت أكثر لعملية تسييس كان ضحيتها المجتمع الغربي كما المجتمع الإسلامي اللذان أنبنت بينهما حواجز وعراقيل الانفتاح الثقافي والهوياتي لعب الدور البارز فيها الساسة ووسائل الإعلام.

وعلى الرغم من النجاح النسبي لعملية أمانة الإسلام، إلا أن المجتمع الغربي المضيف لم يوافق بصفة مطلقة على العملية وربما كان في نظره القيام بإجراءات أخرى لحماية القيم والهوية الغربية بدلا من الهجوم على أطراف أخرى وضرورة أن يتم توسيع النقاش حول الأديان إضافة إلى أن يتم الفصل الحاد بين ما يمثله الإسلام كدين وعقيدة وفلسفة حياة وقيم وبين ما يمثله منتسبيه وما يعبرون به على الإسلام، كما يجب تصحيح الصورة المغلوطة المروجة عن الإسلام وأن يتم كل ذلك في إطار من الشفافية بداية من استبعاد كل المتورطين في تأجيح صور أمانة الإسلام من الساسة والإعلاميين ومؤسسات المجتمع المدني وانتهاء بالممارسات العنصرية وصور الكراهية اتجاه الإسلام.

واقعا هناك خط رفيع جدا بين أمانة الآخر والعنصرية، وتتفاقم أكثر مع وجود هذه العنصرية والتمييز، غير أن الاختلاف بينهما يكمن في وجود قبول لفعل الكلام الأمني لدى الجماهير من عدمه، وهو ما يستند إلى وجود التهديد وجودا موضوعيا أكثر من وجوده وجودا ذاتيا أو ضمنيا، وهو في ذات الوقت مبني على الفهم والاشتراك الجماعي في تصور التهديد.

وعلى العموم فإن الصورة المشوهة عن الإسلام في وسائل الإعلام وعند صناعات السياسات والمجتمع المدني الغربي لم تكن وليد العنصرية الأخيرة

بل لها امتداداتها في سنوات السبعينيات من القرن الماضي وصولاً إلى تلك الصور التي لا تزال في الذاكرة الجماعية الغربية التي تستحضر الإرهاب والقسوة والعنف والدموية والتهديد في كل مرة عند الحديث عن الإسلام.

وعلى هذا الأساس فقد ظهرت في الآونة الأخيرة أصوات غربية تدعو إلى ضرورة التوصل إلى تفاهم مع الإسلام دون الخوف منه، وهو ما ترجم بالعديد من القوانين التي تدعو إلى المحافظة على حقوق المسلمين في مختلف المجالات، على سبيل المثال ما حدث في فرنسا من خلال إنشاء وزارة تكافؤ الفرص والتشريعات التي تجرم خطابات الكراهية في الولايات المتحدة الأمريكية وإنشاء مرصد ترصد الانتهاكات الناتجة عن الكراهية والتمييز ضد المسلمين، ما تم إنشائه في إيطاليا عام 2005 باسم المنظمة الإسلامية لرابطة مكافحة التشهير ضد المسلمين، ما حدث في ألمانيا عند إنشاء الفوروم الإسلامي الألماني الذي يعنى بمحاربة كل الأشكال المعادية للمسلمين، هذا بالإضافة لما قامت به إسبانيا بإنشائها المجلس الاستشاري للعمل على إدماج المهاجرين عام 2006 وهو الأمر نفسه الذي قامت به هولندا عند إنشائها لجنة المساواة لتنفيذ قانون المساواة في المعاملة الذي كان عام 1994، إضافة إلى للحوارات التي تقام من حين إلى آخر بين الأديان خاصة المسيحي والإسلامي بهدف تقريب وجهات النظر بينها على الأقل في القضايا الأكثر جدلاً.

الهوامش:

¹ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", Paper Prepared For The 6th Pan-European Conference On International Relations: Making Sense Of A Pluralist World 12-15 September, 2007, University Of Turin, Italy

² -Steve Smith and Amitav Acharya, "The Concept of Security Before and After September 11", Institute of Defence and Strategic Studies Singapore, MAY 2002, p.2.

³ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", p.5.

⁴ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", p.6.

⁵ -Ibid.

- Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", p.07.

⁷ -Ibid.

⁸ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", p.08.

⁹ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity", p.11-12.

¹⁰ - كلمة مستقاة من أصل كلمة خطر وهي على وزن أفعلة الدالة على عملية الفعل في اللغة العربية.

¹⁰ - Olaf Corry, "Securitization and 'Riskization': Two Grammars of Security", Working paper prepared for Standing Group on International Relations, 7th Pan-

- European International Relations Conference, Stockholm 9th-11th September, 2010.p16
- ¹¹ -Ibid.p 17.
- ¹² - Ayhan Kaya, "Islam, Migration and Integration The Age of Securitization", Palgrave Macmillan,UK,2009.p09.
- ¹³ - W. Shadid & P.S. van Koningsveld, "The Negative Image of Islam and Muslims in the West: Causes and Solutions", In: Shadid, W. & P.S.van Koningsveld (Eds.): (2002): Religious Freedom and the Neutrality of the State: The Position of Islam in the European Union. Leuven, Peeters, pp.174-196.
- ¹⁴ - Jocelyne Cesari, "The Securitisation of Islam in Europe, Liberty and Security", research paper N:15, april 2009, p10.
- ¹⁵ - Ibid,p11.
- ¹⁶ - Ibid,p11.
- ¹⁷ -Ben Tonra," Islam - Religion Or Security Threat? An Analysis Of The Securitization Of Islam In The West", Paper conducted for a course in International Security at the University College Dublin, 2010, p08.
- ¹⁸ -Ibid,p08.
- ¹⁹ - Ben Tonra," Islam - Religion Or Security Threat? An Analysis Of The Securitization Of Islam In The West",p09.
- ²⁰ -Ibid.
- ²¹ - للتعلم أكثر في هذه الفكرة إرجع إلى: صمويل هنتنغتون، صدام الحضارات.
- ²² - W. Shadid & P.S. van Koningsveld," The Negative Image of Islam and Muslims in the West: Causes and Solutions", ,p179.
- ²³ - Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity",p.11.
- ²⁴ - Yasmin Hussain and Paul Bagguley," Securitised Citizens: Islamophobia, racism and the 7/7 London Bombings", The Sociological Review, **Volume 60, Issue 4** ,(November 2012),p.715-734.
- ²⁵ -Uzzi Ohana, "The Securitisation Of Others: Fear, Terror, Identity",p.11-12..
- ²⁶ - Ulrik Pram Gad, "Preventing radicalisation through dialogue? Self-securitising narratives vs. reflexive conflict dynamics", Center for Advanced Security Theory, University of Copenhagen, Denmark,2012, p20.